Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشخصي، أما معرفتها البعدية فقد تكون إعلاما من طرف مجهول، ولكن ما جدوى هذه المعرفة «ما دامت السنون التي سوف يقضيها الإنسان في الحياة مجهولة» (ص 7). وقد يكون الموقف هذا لاواعيا أيضا، لا يدرك له المؤلف باعثا. وفي تحليلنا فإن الطفولة اللاواعية تلك، تعتبر من بياضات الكتابة السيرذاتية نفسها، ذلك أن السيرة الذاتية لا تستطيع أن تقول كل شيء، وأن نصها، كما تقول Beatrice Didier «يتضمن بالضرورة شواطئ طويلة من الصمت حول أحداث أو مراحل من الحياة نفسها» [1]، بل إن السيرة الذاتية، على خلاف ما قد نعتقد، لا تتمتع بذاكرة استثنائية بالضرورة.

وعلى هذا فإن الطفولة الواعية هي التي تبدأ بمعرفة (الحياة)، فتكون الذاكرة قادرة على اختزان صورها، وتستطيع الكتابة استذكارها والإلمام بتفاصيل أحداثها. وهكذا يبدو أن الطفولة المروية تتحدد بزمن آخر غير زمن الولادة أو الوجود، وإنما زمن الوقائع الماضية كما اتصلت بها الذات في حالة من الوعي تمكنها من الاستذكار. وسنرى أن هذه الطفولة هي التي تشكل مادة الحكي، وأن المعرفة بالذات، مهما كانت وقائع المعرفة مشتتة أو غائمة، لا تتم، في الواقع، إلا من خلال التتابع الذي تنظمه الكتابة.

وقد عاش عبد المجيد بن جلون من هذه الطفولة في مانشستر فترة (أزيد من سبع سنوات)، كونت وعيه بنفسه، وحملت إلى ذاته كثيرا من الذكريات والمعارف، ولعلها طبعته، بحكم السياق، بما يمكن أن تنطبع به الذوات، عادة، من ألوان التأثير والتفاعل. وسوف تكون المرحلة اللاحقة في المغرب استمرارا لها في الزمن، مخالفة لها من حيث التكوين وفي المكان. وآية هذا الاختلاف أن الانتقال من مكان إلى آخر، إلى ما فيه من انقلاب جوهري أصاب الذات الفردية في عاداتها وعواطفها ولغاتها...إلخ، أنه فرض معايير أخرى للوجود الذاتي ترتبط ببنية المجتمع وبنمط حياة أفراده، وكذا بالقيم السائدة فيه...

ويظهر لي، حسب التأويل الذي يمكن القيام به لتطور الحياة الطفولية، أن الدخول إلى (القرويين) عام 1934، مكان المعرفة والعلم الجديدين، سوف يكون إيذانا ببداية مرحلة الشباب (« لم يكن لي بد من اقتحام هذه البوابة الضخمة، لأقلب بذلك، دون أن أدرك خطورة العمل الذي أقوم به، صفحة جديدة في حياتي لا تمت بسبب ما إلى الماضي») (ص 242). وهو الطور الذي ارتحل بالسيرة الذاتية إلى أرجاء فسيحة، مكنت الشاب من اكتساب شخصيته المعنوية، ومتعته بمقومات الاستمرار والتطور في المنحى الذي اختاره لمستقبله، أن يكون مشاركا في العمل الوطني، كاتبا ومبدعا أيضا.

---

1 - Territoires de l'imaginaire, ouv. coll. Seuil 1986, p. 141 et s.